كركوك او كرخ سلوخ

فؤاد يوسف قزانجي*

Fouadkazanchi2005@yahoo.com

كركوك kirkuk او كرخا بيث سلوخ او كرخا سلوخ مدينة عاش فيها ابناء كنيسة المشرق من العراقيين من القرن الرابع حتى العصر الحديث. والمدينة ذات تاريخ موغل في القدم فقد كانت تدعى في العصر السومري ارابخا arapkha وعرفت في العصر البابلي باسم عرفا arrapha وهو اسم حي يقع في مدينة كركوك الحالية. احتل الكوتيون مدينة ارابخا في الفترة ما بين الاعوام "٢٣٠٠ - ٢١٠٠ ق. م." واختاروا لهم مدينة كاسور gasur وبنوا فيها مدينة نوزي nuzi او نوزو والتي تبعد عن ارابخا حوالي "١٨كم" واصبحت عاصمة لهم طيلة تلك الفترة. وبعد ان اصبحت بلاد الرافدين بابلية في عصر الملك حامورابي، احتلتها اقوام ميتانية او حورية في الفترة ما بين الاعوام "١٥٠٠ - ١٣٥٠ ق. م." وسكنوا في البداية مدينة نوزي قبل ان يبنوا عاصمة لملكهم في منطقة "تل الهوا" التي تبعد زهاء "٩٦ كم" عن نينوى واسموها "واشوكاني". وبعد ان توطد الحكم للاشوريين في العراق القديم وخاصة منذ القرن العاشر وحتى القرن السابع قبل الميلاد، اصبحت ارابخا محطة مهمة لتعبأة الجيوش الاشورية المتجهة شمالا الى الجبال والى مملكة اورارتو، كما امست مركزا لعبادة الاله "ادد" اله العواصف والرعد والامطار خاصة عندما اصبحت ارابخا جزءا من الامبراطورية الاشورية ايام الملك ادد -نيراري الثاني "٩١١ - ٨٩١ق. م.". وجرت فيها معارك بين الاشوريين والميديين قرابة العامين في عهد الملك اشور بانيبال "٦١٦ - ٦١٥ ق. م." وكانت اهم البلدات التابعة لها بلدة لاخيرو "كفري" وبلدة خانيجار وبلدة خورماتو وهو اسم رافديني يعني ارض الخوريين "الحوريين" الذين غزوا تلك المنطقة، وقد اهتم بها البابليون -الكلديون في القرن السادس قبل الميلاد فاعادوا تعميرها واصلحوا حصونها وربما هم الذين بنوا موضعا عرف باسم عرفا بجانب حصن المدينة، وجاء في النصوص البابلية اسم اخر اطلق على ارابخا هو "ال-ايلافي" "١" وتعتبر مدينة ارابخا موطن النفط في العالم القديم، فقد ظهر القير سائلا مع النفط على سطح ارضها، كما وجد في اطراف هيت وفي مدينة اشور.

وكان العراقيون القدماء يصنعون قففهم ومشاحيفهم "قواربهم الصغيرة" من الخشب ثم يطلون اسفلها بالقار لغلق منافذها. كما وجد استخدام القير في بناء الزقورات السومرية وهي المعابد المدرجة التي كانت تبنى من "اللبن" اي الطابوق غير المفخور على شكل طبقات مستطيلة وتوضع بين هذه الطبقات ابسطة مصنوعة من اغصان النخيل "الحصران" وهذه الحصران تغطى بطبقة من القير لتمنع الرطوبة وتاثير ماء المطر من النفوذ الى داخلها. ونجد ذلك واضحا في زقورة "دور- كوريكالزو" وعكركوف القريبة من بغداد. وهناك رقيم فريد احتوى على بداية اسطورة عثر عليه من حفريات مدينة ارابخا، وجدت النصوص المكتوبة مخرومة لكن بدايتها تسجل وجود "النار الابدية" في تلك المدينة. ويبدو ان ابخرة النفط في ارابخا كانت تلتهب في الصيف فتظهر مشتعلة لفترة طويلة. وقد ظهرت قصص واساطير شرقية وغربية حول تلك النار الابدية او النار الخالدة بتاثير بعض المؤرخين اليونان او الرومان الذين كتبوا عن النار الابدية. وقد ورد اسم المدينة في المصادر اليونانية "ارابخذيوس". كما وردت على لسان المؤرخ بطليموس باسم كرخورا احيانا وكوركورا احيانا اخرى. وهذا ما يفسر تعبير حديث يطلق على المنطقة التي يتصاعد منها اللهيب "بابا كركر". وكان احد الملوك الاشوريين قد دون في رقيم حين دخوله ارابخا هذه الكلمات: "دخلت كيرخو ارابخا وقبلت اقدام الاله اداد، واعدت تنظيم البلاد" ويعلق الباحث روفائيل ميناس على قوله، انه ما يقصده بكيرخو ارابخا هو معبد في ارابخا "٢". بعد احتلال الاسكندر الكبير منطقة الهلال الخصيب ومصر وشرق اسيا عاد وتوفي في بابل عام "٣٢٣ ق. م." وظل العراق تحت حكم اليونانيين حتى علم "١٤١ ق. م." وحكم العراق وسوريا منذ بداية القرن الثالث قبل الميلاد العاهل اليوناني سلوقس نيكاتور الاول "٣١١ - ٢٨٢ ق. م." فوجه اهتمامه الى مدينة ارابخا فاشرف على تعميرها وتنظيمها وتجميلها، فهدم مبانيها القديمة واعاد بناء سورها القديم وجعل وسطها على شكل تل وبنى فوقه حصنا يشرف على ما حوله، وجعل سورها حجريا وعاليا ومحصنا بخمسة وستين برجا، وشيد لها بابين احدهما في الشمال الشرقي والاخر في الجنوب الغربي. وكان الاول مستحكما ببرج في كل من جناحيه. وكان قد وضع على هذا البرج تمثالا للملك سلوقس بحجمه الطبيعي. اما الباب الثاني فقد دعي بباب "طوطي" باسم والي المدينة آنذاك. ووسع المدينة في خارج السور وبنى فيها قصورا وشوارع و "٧٢" سوقا. وكانت منطقة الحصن تحمل اسما خاصا هو ساربوي sarboy . وبعد ان نظم سلوقس شؤون المدينة التي سميت كرخ دبيث سلوخ او كرخ سلوخ وتعني بالسريانية مدينة سلوقس، اعطى سكانها من الضرائب المترتبة عليهم وجعلها مركز اقليم تابع الى مملكته ومصيفا له ولخلفائه من بعده من الملوك السلوقيين. واستمرت المدينة مزدهرة جمعت هذه المدينة في شكلها وطراز ابنيتها بين العمار اليونانية بحسن هندامها وتنظيم شوارعها وبني الفنون الاشورية بمتانتها وضخامتها.

كانت منطقة ارابخا او كرخ سلوخ في العصر الساساني "٢٢٦ - ٦٣٧" قد اطلق عليه حكام العراق من الفرس الساسانيين "كرمكان" بينما دعاه ساكنوه من السريان بيت كرماي او بيت جرماي او باجرمي. وتقع هذه المنطقة بين الزاب الاسفل شمالا ونهر العظيم جنوبا ونهر دجلة شرقا. وكان مجمع سالبق للمسيحيين قد عقد في عام "٤١٠" وقد قسم العراق وميشان وخوزستان الى خمسة مقاطعات او مناطق ميطرابوليطيقية تشتمل على اسقفيات في المدن الرئيسة للمقاطعة وعلى النحو التالي:

١. خوزستان: ومركزها في بيت لافاط "حبذيشابور".

٢. بيت عربالي: ومركزها في مدينة نصيبين.

٣. ميشان: ومركزها في براث ميشان او "فرات - ميشان".

٤. حدياب: ومركزها مدينة اربيل.

٥. بيت كرماي: ومركزها مدينة كرخ سلوخ.

وتضم مقاطعة بيت كرماي التي كانت خلال الفترة الساسانية اي من القرن الثالث حتى القرن السابع، اغلبية سكانها من المسيحيين الذين ينحدرون من اصول ارامية واشورية وبابلية - كلدية.

تشمل مقاطعة بيت كرماي او باجرمي على مدن وقرى عديدة ابرزها: كرخ سلوخ وكفرا "كفري" ولاشوم "داقوقا" وخورماتو "طوزخورماتو" وشهرقرد او شهرقرت "التون كوبري"، وبلدة خانيجار او خانيكار واصلها بيت نيكاتور اي بلدة الملك نيكاتور التي تقع شمالي كركوك..

وجبلتا التي تقع شرق دجلة شمالي تكريت التي ولد فيها الربان "باباي" كما كانت فيها مدرسة نظمت لاول مرة في العراق مجموعة من المرتلين في الكنيسة. "٣" وكذلك بلدة حطرا* التي ولد فيها مار "مارون عمه" ومدينة ماحوزا واخيرا مدينة كرخ جدان الواقعة جنوب مدينة كرخ سلوخ، وبلدة "حربغلال" في شرقي كرخ سلوخ "٤".

وكان اول مطران لمنطقة بيت جرماي مار شمعون برصباعي "ت ٣٤١" وكان مركزه في مدينة شهرقرد. وقد بنى مار مارون مطران كرخ سلوخ في نهاية القرن الرابع ديرا جليلا واسعا وكنيسة تخليدا لذكرى الاف الشهداء الذين قتلوا اثناء الاضطهاد الساساني الذي دام ٤٠ سنة "٣٣٩ - ٣٧٩"، وتدعى هذه الكنيسة اليوم "قرمزي كنيسا" اي الكنيسة الحمراء تذكرة للشهداء كما شيد المطران يزدين كنيسة العذراء ودير مار صليبا قرب مرقد النبي دانيال. ويورد المطران يشو عدناح "البصري" الذي عاش معظم حياته في فرات ميشان، ان مار "شوحا لماران" كان في مفتتح القرن السابع مطرانا على مدينة كرخ سلوخ، وقد الف كتابا عن الحياة النسكية والرهبانية. وكان الاسقف يوانيس من اهل باجرمي قد سيم الى مدينة خانيجار ومن شخصيات منطقة باجرمي الانبا "يوحنانا الشيخ سابا" وهو ند للقديس الانبا يعقوب وسنده في الحياة الرهبانية. وقد تأسست مدرسة لمدينة "حربغلال"، واشهر من نبغ في صفوفها الراهب "مار يعقوب" الملقب بحزايا اي البصير الذي تفقه في علوم الدين واللغة السريانية ثم ذهب للترهب في دير بيت عابي. وكان الفقيه شاهدوست من اهالي باجرمي ايضا، وكان اركيدياقن يعمل ساعورا الى شمعونه برصباعي الجاثليق، ولما بقيت البيعة بلا رجل دين بعد مقتل واستشهاد شمعون اثناء الاضطهاد الاربعيني، وهب نفسه للمسيح وعقد له الاسقفية سرا وعلم به الملك سابور بعد سنتين وخمسة اشهر من سيامته، فقبض عليه وقتله هو ومعه مائة وعشرين مسيحيا بعد ان حبسهم لمدة خمسة اشهر ثم خيرهم بين المسيحية والزرادشتية فرفضوا. وكان شاهدوست قبل نحره قد قال "ان المسيحية مجراها لا ينقطع كماء البحر" "٤" وكان الملك خسرو الثالث "٦٣١ - ٦٣٣" قد استدعى جبرائيل الهرطوقي من كرخ سلوخ ليجعله طبيبه الخاص. اما بسيما الذي قدم من منطقة قردو، فقد حل في دير مار صليبا في كرخ سلوخ ودرس وتهذب بالعلم في مدرسة الدير.

ظلت المدينة لفترة ثلاثة قرون ذات طابع مسيحي حتى القرن السابع حينما تدفق المسلمون واقيم بعد مدة مسجد على انقاض كنيسة مريم العذراء الذي يعرف اليوم بجامع مريم وبالتركمانية "مريمانة جامعي". اما على انقاض دير مار صليبا فقد بني مسجد النبي دانيال وكان الدير يضم ضريحين لقديسين لا يزالان مع قبر النبي دانيال موضع احترام اهالي كركوك الذين يحرصون اثناء زيارة المسجد على قراءة الفاتحة امام الاضرحة الثلاثة.

ويرجح ان لفظة كركوك كأسم لمدينة كرخ سلوخ قد ظهر في القرن التاسع للميلاد في الكتابات السريانية بعد ان سميت كرخيني او كرخاني ثم تصحف الاسم وتغير الى كركوك، ويذكر طه باقر وفؤاد سفر ان الاسم ذو صلة بكلمة "كركر" وهي اسم بقعة النار الملتهبة في كركوك.

وقد توسعت المدينة في القرون اللاحقة وخصوصا في العهد الاتابكي "ق ١٤" حينما بنيت فيها قلعة ضخمة على الارجح على اساس الحصن اليوناني القديم، والقلعة الاتابكية لاتزال قائمة حتى اليوم، وهي قلعة كركوك التي ترتفع حوالي "١٨ م" ولها اربعة مداخل، وتضم عددا من المباني الاثرية والتراثية، من بينها جامع ومأذنتي جامع النبي دانيال والقبة الخضراء والكنيسة القديمة التي تسمى كنيسة ام الاحزان التي يعود تاريخ تأسيسها الى القرن الخامس للميلاد. ان مدينة كركوك الحالية هي احدى المدن الرئيسة في العراق، ومركز محافظة التاميم، تبعد عن بغداد زهاء "٣٥٠ كم" وتقع في الشمال الشرقي للعراق، يعيش فيها العرب والتركمان والاكراد وهم اكثر ساكنيها مع مجتمع صغير من المسيحيين، في سلام ووئام.

المصادر

"١" "٢" ميناس، روفائيل "كركوك عبر التاريخ" بين النهرين س ١٠، عدد ٣٩ - ٤٠ "١٩٨٢" ص "٢٧٧ - ٢٨٨" وهو بحث جدير بالاهتمام.

"٣" اسقف المرج "المرجي"، توما "ت٨٦٥" كتاب الرؤوساء، عربه الاب البير ابونا. بغداد: مطبعة ديانا "ط٢/ ١٩٩٠" ص ١٣٢

* حطرا اسم ارامي او سرياني يعني الرحى وقد سميت مملكة حطرا "الحضر" بهذا الاسم وكذلك قرى عديدة في شمال العراق.

"٤" ادي شير. تاريخ كلدو اثور. اربيل، مكتب ؟؟؟، ٢٠٠٧ "ج٢/ ص١٣".

"٥" سليمان، ماري. اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل. روما، ١٨٩٩ "ص١٩ - ٢١".

خواطر تاريخية

عدنان الحسني

"اعلام"

الرحالة بن بطوطة....الجزء ثاني

كان ابن بطوطة شديد الاعجاب بوادي النيل وقد ذكر امورا حوله ومما قاله عن النيل:

"ويقال ان انهار النيل والفرات هي من الانهار المباركة وان مجرى النيل من الجنوب الى الشمال خلافا لجميع الانهار" ومما قاله ايضا:

"ومن عجائبه ان ابتداء زيادته في شدة الحر. عند نقص الانهار وجفافها وابتداء نقصه حين زيادة الانهر وفيضها واول ابتداء زيادته في حزيران.. وكذلك فاته ذكر الاهرامات وكيف انها من العجائب اذ استطرد واصفا الاهرامات:

"والاهرام بناء بالحجر الصلد المنحوت متناهي السمو مستدير متسع الاسفل، ضيق الاعلى مخروط الشكل لا ابواب لها ولا تعلم كيفية بنائها".

وقد ذكر هذا الرحالة عن احوال مصر الكثير وقد ذكر ايضا ان احد الخلفاء العباسيين اراد هدم تلك الاهرامات الا انه عورض في ذلك ولكنه اي الخليفة امر بفتح ثغرة فيها وفي عهده عرف عرض الجدار، وقد كان ابن بطوطة يدون في كتاباته ما يسمع عن الاحوال والناس مستخدما نظام القصة وحكاياتها.. وفي وقت من العام الميلادي ١٣٢٥ قصد الرحالة ابن بطوطة بلاد الشام اذ مرّ بصحراء سيناء حتى العريش فالخروبة ففرة اذ وصفها بعمارة الاسواق وان لها اسوارا.. ثم الى الخليل وكان وصفه لها وصفا دقيقا كأنما يراها القاريء.. اذ كان هذا الضرب من الوصف قد اختص به ابن بطوطة.. وقد وصف بيت القدس كاتبا عنها: البلدة كبيرة، مرصوفة بالصخر المنحوت، وفيها المسجد الاقصى حتى استطرد قائلا:

"وفي جوار بيت القدس واد وفي بطن الوادي كنيسة اسمها الجثمانية"..

وانتقل بالوصف الى مدينة صور حيث صورها على معنى المنعة ويظهر ان هذا الاسم قد تأتى مما بها من حصانة اذ يقول فيها قولا يدل على ذلك:

"ومدينة صور هي التي يضرب بها المثل في التحصين لان البحر يحيط من جهاتها الثلاث وللمدينة بابان، احد هذين البابين للبحر والاخر للبر، ولبابها الذي يفتح على البر اربع فصلات كلها من ستائر محيطة بالباب واما الباب الذي للبحر فهو بين برجين عظيمين، وليس في بلاد الدنيا بناء اعجب ولا اغرب شأنا من بنائها واما في الجهة الرابعة هناك سور تدخل السفن تحته وترسو هنالك، وكان فيما تقدم بين البرجين سلسلة حديد معترضة لاسبيل الى الداخل ولا الى الخارج الا بعد انزالها في الماء وعليها الحراس الامناء فلا يدخل داخل ولايخرج خارج الا بعلم منهم".

هكذا وصف الرحالة ابن بطوطة مشاهداته ومعايناته لتلك المدن التي قام بزيارتها ولو ان المتتبع يمعن في ذلك الوصف لوجد ان النقل الرقيق كان هو الصفة الغالبة على ما يكتب وهذا هو الاستيعاب البصري والاحساس الذهبي بتلك الوقائع.. فينقل ما هو فريد وكونه معلما انشائيا او حضاريا يأخذ صفة الوصف الدقيق عند الرحالة ابن بطوطة. وهاهو التاريخ الحديث يطلع علينا بكل رحالة جاب الدنيا اواسط القرن الماضي او في اواخره مستخدما كل تقنيات العصر وما تيسر لهؤلاء من امكانات سواءاً كانت مادية او بشرية لتكون في خدمة هؤلاء بغية الوصول الى اغوار المعالم وخفاياها وهاهو الرحالة الفرنسي الشهير كاليبو في القرن العشرين يمخر البحار والمحيطات بحثا عن الوقائع والحقائق ميسرة له كل الامكانات ليصل الى اثبات مشاهداته وتلخيص تلك الاسفار لتوضع في قالب السرد البصري من خلال مختلف رحلاته، الا ان الرحالة ابن بطوطة قد وصل الى ما وصل اليه باقل الامكانات وابسطها سلاحه في ذلك حبه للاطلاع والاستطلاع..

بيئتنا وحمايتها من التلوث

د. غضنفر حكمت الشيخ

لم يقتصر هذا الجانب على الاهمال فقط وانما التمادي وعدم المبالات اخذ شكلا مريبا لم يعكس الا صور تخلفنا الذي بات يلاصق مسيرتنا الحياتية المتعثرة بين واقع الخطابات والنصح والتوجيهات الرنانة تحت عناوين حماية البيئة او المحافظة عليها وبين واقع اكثره بؤس وانغمار في بؤر من التلوث ومازال هذا الواقع يزداد انتشارا حتى اجتاز الحدود الحمراء وبات يحاصر المراكز والمقرات ومكاتب المغالين في حماية هذه البيئة.

وللاسف اخي القارئ العزيز: لم نلمس اي اندفاع جاد من الناحية العملية الفعلية نحو تحسين او حتى ايقاف هذا الزحف من التلوث الخطير الذي يهدد مصيرنا ومن جميع الاتجاهات.

لقد تحولت ارقى احياء العاصمة بغداد الى "مناطق وعرة" ومتنزهاتها الى "اراض قاحلة" وشوارعها الى "قمامة تجاور قمامة" حتى غدت ازقتها "سلسلة ازبال" ولم يسلم اي رصيف من "الانقاض". اوبئة ومخلفات تتبادلها "المدن والارياف" كيف لا وهلاكات افراخ ترمى في المبازل والانهار وجثث الابقار والاغنام متناثرة على قارعة الطريق ناهيك عن مداخن مولدات الكهرباء وما يحرق من اطارات العجلات في شتى الاماكن ومنها عند مواقع السيطرات العسكرية والتي هي الاخرى لم تسلم من مجاورة او ربما معايشة قطعان الاغنام وما يقوم به الرعاة من ذبح وسلخ وعروض للدماء.

لم تعد هناك اي حرمة يلتزم بها الانسان لا قانونا ولا عرفا ولا حتى خجلا ان جاز التعبير. ان كان التلوث ظاهرة منحرفة عن المسار الصحيح للطبيعة والنظام فان انسان اليوم يعد اخطر مسبب للتلوث واذا تفاقم الوضع اكثر سوءا فان هذا الانسان يعد اكثر ثقلا او ربما اثقل عدو يهدد الطبيعة من حيث يدري او لايدري.

ارجوك عزيزي القارئ ان تدلني عن انسان يرتضي لنفسه ان يرى مستنقعا من مياه المجاري يحيط بمجمع سكني و "لا يحرك ساكن". لقد تحول عامل تنظيف الشوارع الى "كناس" يبحث عن فوهات المجاري ليدفع اليها حصيلة ما كنسه من تراب ومن دون ادراك او ادنى وعي لمجرد التملص من تعبئته في وعاء خاص.. بهذا العمل فهو يتسلم راتبه من اجل الاضرار بالبلد شأنه شأن المسؤول الذي يتسلم راتب من دون تقديم خدمات للمواطنين، وما اكثر المسؤولين الذين يتقاضون رواتبا ومن دون استحقاق. ان الاستخدامات الخاطئة للارض... والمياه.. والهواء، تعد سابقة خطيرة على مستقبل البشرية.

لقد كانت المشكلة سابقا هي قلة الوعي وعدم الارشادات او تقديم النصح والوصايا، وهذه من المشاكل التي يمكن التغلب عليها عبر الندوات والدورات التدريبية وتوزيع النشرات العلمية والايضاحات عبر وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية. لكن المشكلة اليوم اصبحت اكثر خطورة ونحن امام هذا الكم الهائل من البشر الذي لا يهمه الالتزام بالوصايا رغم ادراكه بخطورة النتائج بقدر ما يهمه تمضية مهمته الشخصية وعدم المبالات بما يحصل على المدى البعيد فكل همه ان يجتاز المرحلة وكفى ولا يبالي ان كانت هذه المرحلة آنيا فقط. وهذا وحده فقط يعد من اسوأ المخاطر التي تهدد البيئة.

ان الاتجاه الجديد الواجب اتباعه هو التخلي عن اسلوب التصدر عبر المنابر الخطابية والكف عن كثرة الحديث بهذا الصدد، واللجوء الى التنفيذ المباشر لكل ما خطط له وعلى الجهات المسؤولة تبني الموضوع بجدية عملية مع المصداقية في تقديم هذه الخدمات ومع المتابعة والصيانة للحصول على النتائج الايجابية التي يمكن ولابد ان يلمسها المواطن.

عرس

بهاء البير

كنت قد حضرت في حفلة عرس حبيبين صبرا كثيرا الى ذلك اليوم ليلتقيا اخيرا في بودقة حبهما الابدي ارادوا فرحتهم ان تكون فرحة الجميع ارادوا لحبهما ان ينتشر بين الاصدقاء.. هناك كانت فتيات تتمايل رقصا كالزهور تراقص نسمات الاغاني الجميلة الهادفة فغنى آشور ودريد وماجد وكاظم وغيرهم.. وكان هناك فتيان ينظرون للفتيات بأعجاب ويشاركهن بالتصفيق واختلاس النظرات والابتسامات والايحاءات المعبرة تمنيت حينها ان اراهم احباء وعاشقين ناظرين للمستقبل الآمن مبتعدين عن الماضي والحاضر المؤلم بالذكريات الحزينة ولمحات من الفرح المقنع تمنيت ان لا احب واعشق بل ارى الكل من حولي احباب يتغازلون مع الزمن المحدود منتقلين الى اللامحدود فالنجوم قلت في السماء من قلة الحب فلا قيس وليلى ليكونوا نجوما تتلألأ تساعد القمر بتجميل السماء المظلمة تمنيت ان لاينتهي العرس ولا ينتهي كأسي لاملأ منه كؤوس الحاضرين من مناهل حبي واصفق للراقصين كما صفقت على ظهري السياط لسنوات مضت ولن تعود فالحب اقوى من الشر والقبلات اكثر تعبيرا من الشعارات الرنانة الباقية على الجدران والورق فالحب فعل والسلام رد الفعل.. فمنذ ذلك العرس قررت ان اصفق للمحبين وادير ظهري وزمني وامحوا من ذاكرتي الباقين.

عيناه...

ابراهيم بادل

علمتني الحياة أن أبحث عن الحقيقة.. حقيقة وجهي دون زيف أو رياء.

حكاية قديمة لازالت تخفق في الفؤاد.. اهديها الى كل الاصدقاء الذين "غادرونا وهاجروا" !.

* وقفنا صامتين في محطة القطار قبيل لحظات الوداع، وكانت نظراته حائرة تبحث عن شيء ما ولا تستقر على شيء.

قال بصوت خافت متهدج:

- ترى لماذا لم يحضر بقية الأصدقاء لتوديعي؟..

قلت له وأنا أحاول أن أهدئ من تأثره وانفعاله وأبعد عنه الظنون:

- ربما لأنهم لا يريدون أن يفعلوا ذلك، ولا يريدون لك أن ترحل..

فسكت، كانت عيناه قد اغرورقت بالدموع..

قلت أخفف عنه:

- لماذا الهجرة والاغتراب أيها الصديق؟. حتماً ستقول وللمرة الأخيرة إنها ظروف الحياة والبحث عن لقمة العيش،وفرص النجاح و المستقبل.. أليس كذلك ؟..

فهز رأسه بالإيجاب وهو يحاول أن يخفي الدموع في عينيه.

قلت له وأنا أذوب أسى وأسفاً وحسرة:

- لا تقل ذلك أيها الصديق، ولا تقل إنه طموح الشباب هو الذي يدفعك إلى الرحيل، فاللقمة فائضة في بلدنا وأرضنا الخيرة المعطاء، وفي وطننا مجالات واسعة لنمارس فيها طموحنا، ولكن...

صافرة القطار وهي تنذر بتحركه ألجمتنا بالصمت للحظات بدت أطول من كل الدهور والأزمان وكل منا ينظر إلى الآخر نظرات أخيرة..

قلت له قبل أن نتبادل قبلات الوداع:

- انتبه يا صاح وكن دائماً على حذر، ولا تنسَ أبداً الوطن الذي تحبه وتعشقه.. لا تنساه في العسر واليسر.

كان القطار قد بدأ يتحرك ويطلق صافرته الثانية..

فقال الصديق وهو يسحب يده من بين يدي برفق:

- سلم على الأصدقاء الذين لم يسمح لهم الوقت بالحضور لتوديعي..

وصعد إلى القطار بخفة ورشاقة، وهو يلوح بيده مودعا والدموع في عينيه.. وسار القطار ومضى وابتعد واختفى عن الأنظار.

عدت أدراجي بخطى متثاقلة والأفكار تتصارع في رأسي، وتساؤلات شتى تتدافع في خاطري:

- لماذا أراد الصديق الاغتراب كما الكثيرين الذين رحلوا؟. وهمست في سري : ولكن ما الذي يربطنا إلى هذه الأرض الطيبة ويشدنا إليها بقوة؟..

كان أحد الأصدقاء الذين تخلفوا بسبب ما عن الحضور لتوديع الصديق الذي رحل قد أقبل في سيارة أجرة، وترجل منها على عجل واقترب مني وبادرني قائلا:

- هل سافر؟..

هززت رأسي بالإيجاب دون أن أنظر إليه..

فقال:

- كنت أريد أن أراه..

واستطرد بعد أن أشعل سيجارة وراح ينفث بدخانها وهو ينظر إلى الأفق البعيد.. قد تكون المرة الأخيرة التي كنت سأشاهده فيها، من يدري..

وأردف وهو ينظر إلى الساعة في يده:

ولكن لم يحن الوقت بعد، هناك ربع ساعة على موعد تحرك القطار..

قلت له قبل أن يكمل كلامه وقد أخذه الانفعال:

- يبدو أن ساعتك لا تعمل جيداً أيها الصديق، أضبطها يا صاح ولا تهملها أبداً فهي التي تذكرنا دائما بالوقت الذي نضيعه هدرا.. ورجعنا صامتين.

بعد شهر وبعد أن حط الرحيل بالصديق في بلد أجنبي، جاءتني رسالته الأولى، كتب يقول فيها:

"إنه يتذكرنا ويتذكر الأيام التي عشناها معا، وإنه يشتاق إلينا وإلى سهراتنا وأحاديثنا، وإنه يتذكر البلد في كل وقت ويحن إلى سمائنا الزرقاء وشمسنا الدافئة".

في رسالته الثانية بعد مدة كتب يقول:

"إنه يعمل، وإنه يلتقي بالكثير من المهاجرين من أبناء شعبنا الآشوري، وإن حلقة الشعور بالغربة التي كانت تلفه في البداية بدأت تضيق..".

في رسالته الثالثة بعد سنة واكثر.. بعث صورته وقد ظهر فيها مع حسناء أجنبية، وقد كتب على ظهر الصورة: "انها من حفلة ساهرة أقامها أحد الأصدقاء هنا".. وفي الصورة يضع على عينيه قناعا وقد ارتدى ثيابا غريبة الشكل وفي يده كأس ويده الأخرى تخاصر الحسناء الأجنبية التي تبدو في الصورة وهي تضحك ضحكة كبيرة.

ابتسمت في سري بألم، وتمنيت له في نفسي أن يهنأ بلقمة العيش التي رحل من أجلها. في رسالته الرابعة بعد نصف عقد من الزمن، بعث إلي.. بطاقة معايدة بمناسبة بداية عام اخر، كتب عليها بالإنكليزية "To My Friend".. بضع كلمات بالإنكليزية لا أكثر...

ابتسمت ولكن بمرارة وألم، وغرقت في الصمت. تغير عنوانه أكثر من مرة..انقطعت رسائله بالمرة..مضى اكثر من عقدين على انقطاع أخباره عني، تمنيت خلالها أن يتذكرني في يوم ما، برسالة ما، مكتوبة بلغة ما.. ولكني مازلت أذكر عينيه المغرورقتين بالدموع لحظة الفراق.. عينيه السوداوتين الصافيتين كصفاء سماء الوطن.

مذكرات الكهف الاحمر

مذكرات الكهف الاحمر

مذكرات الكهف الاحمر

إدمون لاسو

في عام ٢٠٠٦ وفي الذكرى العاشرة لرحيل القائد الميداني والسياسي توما توماس "١٩٢٤-١٩٩٦" نشر موقع "الناس" الالكتروني al-nnas.com في الدنمارك والذي يديره ختنه السيد يونس رمو، ٤١ حلقة من "اوراق توما توماس" على امل نشر بقية اوراقه ورسائله المتناثرة هنا وهناك لاحقا.

وهذه الاوراق هي عبارة عن مذكرات سياسية تناول فيها المرحوم توما توماس ككا، حياته الشخصية وكيفية انخراطه في الحزب الشيوعي العراقي، ثم تجربته الميدانية في خلايا الانصار وغيرها من الامور والاحداث التي رافقت تجربته القتالية والحزبية في شمال الوطن.

وبغض النظر عن اتفاق هذا الطرف او ذاك مع اصحاب المذكرات، او اختلافه معه فكريا او سياسياً، وبغض النظر عن ملاحظاتنا الشخصية في عدم دقة هذه الحادثة او تلك تاريخيا، فان المذكرات عموما تشكل مادة غنية هي نضج الواقع الميداني، والرشح النضالي، بحيث لا يمكن للسياسي المهتم، او المؤرخ المتابع، ان يمر بها مر الكرام، او يتجاوزها دون ان يتوقف عندها محللا او مجادلا، او متفاعلا مع وقائعها بهذا الشكل او ذلك.

لذلك ارى جمع الاوراق والرسائل ونشرها في كتاب مستقل تحت عنوان "مذكرات الكهف الاحمر" بقلم "توما توماس"، لسبب القصة التالية، ذات الدلالة اللطيفة والطريفة، التي سأرويها لكم، ولاسباب اخرى ثانوية سنأتي على ذكرها ايضا.

حيث حدثني السيد فرج ابلحد سرسمو "تولد القوش ١٩٣٣" انه عند حصول معركة الدواسنة في ٩ نيسان ١٩٦٩ وكان في حينها يعيش في بغداد، تناخى مع نفر من زملائه وذهبوا الى البطريرك بولس شيخو "١٩٠٦-١٩٨٨" ليتداولوا معه امر الهجمة على القوش، ويستطلعوا رأيه في الموضوع، فقال لهم: لماذا انتم خائفون وقلقون، اليس عندكم الكهف الاحمر "كهفا سموقا"؟ ويستطرد السيد فرج سرسمو قائلا: لقد فسرنا ما قصده البطريرك شيخو الاحمر بالكهف الاحمر بـ"توما توماس" ولا ريب!.

و"الكهف للاحمر" لمن لايعرف منطقة القوش، هو عبارة عن كهف صخري واسع مقعر في نصفه الشمالي، احمر اللون، يقع في كلي دير الربان هرمز على يمين الطريق الصاعد الى الدير، يبلغ نحو ٧٥م وارتفاعه نحو ١٥م، وعمقه من ١-٥ امتار.

وفعلا كان القائد توما توماس هو من انقذ القوش من تلك الهجمة الرعناء، عندما قدم وابطاله من وراء الجبل وانذر المهاجمين الذين احتلوا مركز الشرطة بالتواطؤ مع الجيش والسلطة المحلية، تمهيدا لاقتحام القوش، انذرهم بوخيم العواقب ان لم ينسحبوا ويتركوا البلدة سالمة، وفعلا خرجوا منها خائبين، وتنفس الناس الصعداء بعد ثلاثة ايام من المحنة والضيق، راح ضحيتها احد الالاقشة الابرياء هو الراعي السيد عبد المسيح عوصجي.

وهكذا ترى عزيزي القاريء ان الذي حداني ويحدوني الى اقتراح هذا الاسم على تلك المذكرات، هو تطابق الصفة مع الموصوف تماما، ليس لسبب تلك القصة الحقيقية فحسب مع اهميتها واهمية الكهف الاحمر كرمز اثري ديني في القوش، وانما ايضا لكون صاحب المذكرات ينتمي الى حزب رمزه اللوني هو الاحمر، بالاضافة الى ان بشرة الفقيد نفسه كانت حمراء اللون.فما اغناه من عنوان، وما اغناها من مذكرات!!